

الأستاذة: حسنية عزاز

المستوى: الثانية ليسانس

تخصص: دراسات لغوية

المادة: فلسفة اللغة

## المحاضرة الثانية عشر: القصدية: بتراند رسل وسيرل

ظهرت فكرة القصدية مع هوسرل والتي تعني فعل القصد أو التوجه الفعلي نحو الموضوعات الخارجية من أجل فض النزاع أو التوفيق بين اتجاهين أساسيين في الفلسفة هما الفلسفة المادية والفلسفة المثالية مع محولة التوحيد بينهما دون ترجيح فلسفة على أخرى فقد اهتم فلاسفة بالتفكير من حيث تكوينه وهو من صياغته الأصلية في الظاهراتية الهوسرلية فعل توجه نحو الأشياء الجزئية القائمة في العالم نحو موضوع معين للوعي وفعل التوجه هذا ليس مجرد توجه من ذات (أنا) نحو شيء تجريبي معين فحسب ولكنه أيضا يتضمن سمات الشيء المائل أمام الذات المكونة.

حاول ريكور الوصول إلى التقارب الموجود بين ما يسميه القصدية التاريخية *L'intention* *molité historique* والقصدية السردية *L'intentionnalité* عند غريتشا متخذا نقطة بينهما من خلال محاولة تحليل منطلقا كل ظاهرة ونقدها باعتبار "ما بعد الواقعة ومدى زمنيا تاريخيا في كل منظور منهما" بمعنى يصل إلى نتيجة حتى يستطيع أن يضع السرد مقابل الزمن<sup>1</sup>.

يعرف هوسرل مفهوم القصدية على أنه فعل القصد نحو الموضوعات الخارجية من أجل فض النزاع بين الفلسفة العادية والفلسفة المثالية وقد حاول بول ريكور التوفيق بينهما وهذا ما سماه بالقصدية التاريخية.

وقد لاحظ ريكور أن مدرسة الحوليات الفرنسية ومن خلال الأبحاث الجديدة التي طورت البحث التاريخي فحاولت إعطاء مفهوم جديد للزمن التاريخي فحاول من خلال ذلك أن يطلعنا على عمل كل من ريمون آرون الذي كتب مقال في حدود الموضوعية التاريخية والذي كان مقاله قبل أن يأتي لوسيان فيفر ومارك بالوخ اللذان أسسا "حوليات التاريخ الاقتصادي" فحسب نظر ريكور أن فقد أنساق آرون عند تثبيت حدود الموضوعية التاريخية إلى التصريح بما أطلق عليه تلاشي الموضوع.

<sup>1</sup> بول ريكور، الزمان والسرد، الجزء الأول، ص 156.

وبهذا ما يطرحه من أفكار حول هذه المسألة لقيت سوء فهم الذي دفع إلى التفكير بالذاتية على أنها لا تتوافق مع الموضوعية فالذاتية والموضوعية تحررا من هذا السجن بل تعزز الذاتية والموضوعية احدهما الأخرى بدلا من الصراع<sup>2</sup>.

رأي ريكور أن مدرسة الحوليات الفرنسية قد أعطت مفهوم جديد للزمن التاريخي فقد حاول أن يطلع على ريمون آرون من خلال الموضوعية تاريخية.

إذن إعادة البناء هي التي تبين الفجوة التي تفصل بين الموضوعية التي يعتمد عليها عمل ما وما بين التجربة الغير قابلة للإعادة.

فلا يمكن الفهم هو الذاتية والتفكير هو الموضوعية لأن التاريخ لا يصح كتاريخ حتى تزوج حقيقته لأنها مكومة من الحقيقة المنقولة عن الماضي ومن الشهادة التي يقدمها المؤرخ.

فيظل التاريخ أحد أنواع المعرفة إذ يعتمد على العلاقة في الربط بين التجربة التي عاشها في أزمنة مختلفة والمؤرخ وما يؤرخه في الوقت الحاضر فلكي يفهم التاريخ لابد للمؤرخ أن يستهدف المعرفة ويوصلها بطريقة مفهومة "فالمبادرة في التاريخ لا تنتمي إلى الوثيقة بل إلى سؤال يطرحه المؤرخ ويتخذ هذا السؤال أسبقية منطقية في البحث التاريخي"<sup>3</sup>.

يعتمد التاريخ على أحد أصناف المعرفة فهو يعتمد على الربط من التجربة التي مر بها في أزمنة مختلفة وما يؤرخه المؤرخ في الوقت الحالي.

### النسبية السببية الفريدة:

النسبية السببية الفردية هي إجراء التفسيري الذي يحقق التحول بين السببية السردية والسببية التفسيرية التي لا تتميز عن التفسير بواسطة القوانين.

يجد هذا التحول دعما له في تحليلات كل من وليم دوراي خون رايت إذ جعلنا دوراي نألف الأطروحة القائلة "أن التحليل السببي للمسار معين للأحداث لا يمكن أن يختزل إلى تطبيق قانون سببي ويمكن أن نجد عرض دقيق لمنطق النسبية السببية الفريدة في المقالة النقدية التي كرسها ماكس فيبر لعمل إدوارد مايز "نظرية التاريخ ومنهجه" والذي يجب أن تضاف إليه مساهمات ريمون آرون حين يتألف هذا النوع من المنطلق في أعمال الخيار في تكوين مسار مختلف للأحداث "لكي

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 158.

<sup>3</sup>بول ريكور، الزمان والسرد، الجزء الأول، ص 159.

التفرق العلاقات السببية المتبادلة، نبي علاقات أخرى غير واقعية" (ص 185 – 186) وآرون "كل مؤرخ لكي يفسر ما حدث فلعا يسأل نفسه ما الذي كان يمكن أن يحدث"<sup>4</sup>.

تعرف النسبة السببية على أنها إجراء تفسيري إذ يحقق تحول السببية السردية والسببية التفسيرية إذ نجد هذا التحول دعما لكل من دبراي وفون رايت.

إن التوسع في النسبية السببية الفريدة يشمل التطورات التاريخية التي يتعذر فيها رؤية قرارات فردية أو أحداث نقاطية، ويرى بول ريكور أن التفسير التاريخي كأنه يقطع صلته بالسرد حيث قام بإعادة بناء مراحل القرابة المتنوعة من خلال قراءاته الحرة لنص فيبر وبمساعدة كتاب آرون "مقدمة إلى فلسفة التاريخ" فتوصل إلى أن يطبق فكرة الحبكة بالمماثلة على نسبة السببية الفريدة كلها وهذا ما جعله يرى أن بول فين يبرر استخدام المصطلح حبكة الذي شخص كل التصورات الفريدة التي تشيع المعايير التي اقترنها لفكرة الحبكة بحيث هي مكونة من عوامل متنوعة كالظروف والمقاصد والتفاعلات والمحن<sup>5</sup>.

حسب رأي بول ريكور أن التفسير التاريخي كأنه ينفصل عن السرد إذ حاول إعادة بناء القرابة من خلال قراءته لكتاب آرون وفيبر حيث ينتهي به الأمر إلى أن يطبق فكرة الحبكة بالمماثلة على النسبة السببية.

### كيانات الصف الأول في التاريخ:

ميز بول ريكور ثلاثة سبل:

- السبيل الذي يقود من الإجراءات التمييزية للتاريخ العلمي رجوعا إلى القوة التفسيرية التي يتضمنها حبكة السرد.

- السبيل الذي يقود من الكيانات التي يكونها المؤرخ رجوعا إلى الشخصيات في السرد.

- والسبيل الذي يقود من تعدد الأزمان في التاريخ رجوعا إلى جدلية السرد الزمنية.

<sup>4</sup> بول ريكور، الزمان والسرد، الجزء الأول، ص 287 – 288.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 293.

هذه السبل حسب بول ريكور لا تقبل الفصل بينها لأنها تتصف بأسلوب القرابة غير المباشرة الذي يربط التاريخ بالفهم السردي كما أنها تتصف بالميل إلى الاستعانة بمحطات معينة للانتقال على مراحل يوفرها التاريخ نفسه من أجل إعادة بناء القصيدة التاريخية<sup>6</sup>.

يقوم بول ريكور بالتمييز بين السبل الثلاث فالسبيل الأول هو الذي يقود من الإجراءات التمييزية للتاريخ العلمي أما السبيل الثاني فهو الذي يقود من الكيانات التي يكونها المؤرخ إلى الشخصيات في السرد والسبل الثالث من تعدد الأزمان في التاريخ إلى جدلية السرد الزمنية.

إن القطيعة الاسبمولوجية بين كيانات الكتابة التاريخية وشخصية السرد كما يراها بول ريكور حيث بدأ من تعريف الشخصيات وتعيينها بأسماء علم واعتبارها مسؤولة عن الأفعال، هذه الأفعال هي التي تجعلهم سعداء أو تعساء أما الكيانات التي لا يحيل إليها التاريخ التي يحاول تفسيرها ليست شخصيات فهل كل هدف قصدي يمتلك محطة انتقال على مستوى كيانات الكتابة التاريخية؟ فحسب بول ريكور محكة انتقال المرحلي موجودة على شكل كيانات العنف الأول من المعرفة التاريخية التي هي مجتمعة تشير إلى أفراد يمكن باعتبارهم شخصيات في السرد<sup>7</sup>.

يعرف بول ريكور الشخصيات ويعينها بأسماء علم إذ يعتبرها هي المسؤولة عن الأفعال وهذه الأخيرة هي التي تجعلهم إما سعداء أو تعساء وحسب بول ريكور فإن الانتقال المرحلي موجود على شكل كيانات الصف الأول في التاريخ.

إن النتيجة الاسبمولوجية للطبيعة الاشتقاقية للكيانات هي أننا ننظر حسب بول ريكور إلى هذه الكيانات ونتعامل معها تكوينات ينقص وضوحها في السرد وفي التجربة أكثر فأكثر لذلك فإن منهج التساؤل التراجعي هو وحده القادر على إعادة بناء القنوات التي من خلالها تحيل كل من الإجراءات وكيانات البحث التاريخي رجوعاً على نحو غير مباشر إلى مستوى الفهم السردي هذا المنهج وحده هو الذي ينشل معقولة التاريخ بوصفه منظومة تاريخية<sup>8</sup>.

يرى بول ريكور أن الكيانات والتعامل معها ينقص وضوحها في السرد والتجربة.

---

<sup>6</sup> بول ريكور، الزمان والسرد، الجزء الأول، ص 302.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص 302 - 303.

<sup>8</sup> المصدر نفسه، ص 322.

## الزمن التاريخي ومصير الحدث:

يعد موضوع الزمن موضوعا هاما من عمل ريكور باعتباره - الزمن - يعد حلا للإشكالية الأساسية التي طرحها بدءا من فهم الذاكرة فهما فلسفيا (فهما أنطولوجيا) وليس فهما فلسفيا. من هذا حاول ريكور اتباع منطلقة الذي نجد له امتدادات في نصوص عديدة أهمها اهتمامه بكتاب الزمان والسرد والذي نجده يقر بأن عمله مارسه هوسرل هو ذلك السؤال الذي أثاره هوسرل يحدد العلم الغاليليوالنيوتي أثيره أنا [بول ريكور] بصدد العلوم التاريخية وأنا أسأل بدوري عما سأسميه من الآن فصاعدا قصدية المعرفة التاريخية (...). وبها أثير إلى معنى تدخل القصد الخالص (nocitc) الذي يشكل الطبيعة التاريخية للتاريخ ويمنعها من الذوبان في أنواع المعرفة الأخرى التي يقرن التاريخ بها قران مصالح مع الاقتصاد والجغرافية وعلم السكان وعلم الأعراف وعلم الاجتماع العقليات والايديولوجيات<sup>9</sup>.

من المواضيع الهامة لدى بول ريكور موضوع الزمن الذي يعد حلا لإشكالية إذ هذا أسماه بالقصدية المعرفية التاريخية.

لعل كل من يتبع هذه المسألة في الزمن والسرد تشده هذه الأطروحة التي يتبعها بهذا التحديد لمشروعه، والتي تبنى أساسا على تتبع المفارقات داخل المعرفة التاريخية يقول "أنا اقترح استكشاف الممرات الغير مباشرة التي تنقل من خلالها مفارقة المعرفة التاريخية إلى مستوى أكثر تعقيدا ألا وهي المفارقة المكونة لعملية التصور السردية"<sup>10</sup>.

تبنى هذه المسألة على تتبع المفارقات داخل المعرفة التاريخية.

يحاول ريكور توضيح تأويل مكان المعرفة التاريخية من خلال محاولته لرسم أفق إمكانية الحديث عن التاريخ كمفهوم ممكن وعن التاريخ في علاقته التكوينية بالمفاهيم الأساية المكونة له فأراد أن يكون عملا مشابه لعمل هوسرل.

لكن هوسرل في رأي بول ريكور بحث عن العلم نيوتونيوالغليلي التي فارقت كل شيء أي بأنه قطع صلته مع العالم ما قبل العلم لكن يمكن الاستفادة من المحاولات الهوسرولية في الظاهرية التوليدية عكس بول ريكور الذي لم يكن هدفه الوصول إلى ذلك، وإنما هدفه أن يقوم عمله على

<sup>9</sup> بول ريكور، الزمان والسرد، الجزء الأول، ص 282 - 283.

<sup>10</sup> مذكرة دكتوراه التلقي وأشكال التأويل عند بول ريكور (أعواد نجة)، ص 462.

أولية أخرى تتمثل في بحثنا يمكن أن تكون له فائدة ثانية بالنسبة للمحاولات الهوسرلية في الظاهرة التوليدية، التي تتوجه مباشرة إلى تكوين الموضوع متخذة في ذلك طريق الظواهر الإذراعية الحسية تلك هي فائدة العثور في أقلب المعرفة التاريخية على سلسلة من محطات الانتقال على مراحل لتساؤلنا رجوعاً.

يقسم ريكور هذا العمل إلى المعالجة السببية حيث يعود إلى فون رايت وبالتحديد إلى مفهوم السببية، حيث يرى بأن يمكن فهمه لا يعني شيء سوى أنه يقوم به من تحويل لمفهوم السببية وليس الغرض منه "وضعه بروح سجالية على الضد من التفسير بالقوانين، ولكن على العكس، من أجل أن أبين داخلها البنية الانتقالية بين التفسير بواسطة القوانين (...) والتفسير بواسطة الحبكة الذي غالباً ما يتماهى مع الفهم<sup>11</sup>.

حسب مفهوم بول ريكور فإن هوسرل قد بحث عن العلم أي قطع صلته مع العالم ما قبل العلم لكن لا يوجد استفادة من هوسرلية في الظاهرية التوليدية إذ كان هدف بول ريكور أن يقوم عمله على الأولية أخرى.

هذه المعالجة الجديدة للسببية التي يريد ريكور تدفعه لمعالجتها ضمن تصورات متعددة وهذا ما رأيناه في تصور فون رايت حول مفهوم التكون الواقعي للأحداث الذي يدفعنا إليه أحياناً التكوين بالفكر للأحداث المختلفة والتي يستنتج منها ريكور أن الوضع في حبكة يشبه هذه الحالة المخالفة في حقيقة الأمر لعمليتين عمل مؤرخ وعمل الشاعر فليس المؤرخون مجرد أداة بل هم يعطون أسباباً يوضحون بها لماذا يعتبرون عاملاً خاصاً دون غيره السبب الكافي لمسار معطى من الأحداث، ويخلق شعراء أيضاً حركات تبقى متماسكة بواسطة هياكل سببية لكن هذه الأخيرة ليست موضوعاً لعملية جدال<sup>12</sup>.

يخرج ريكور هنا إلى نتيجة مفادها أن الوضع في الحبكة يشبه هذه الحالة المخالفة في حقيقة الأمر لعمليتين المؤرخ والشاعر.

### القصدية التاريخية:

<sup>11</sup> بول ريكور، الزمان والسرد، الجزء الأول، ص 284 - 292.

<sup>12</sup> مذكرة دكتوراه التلقي وأشكال التأويل عند بول ريكور (أعواد نجة)، ص 463.

تؤسس التحليلات في الفكرة بوجود قطيعة ايستمولوجية بين المعرفة التاريخية والقدرة على متابعة قصة وتؤثر هذه القطيعة في ثلاث مستويات: مستوى الإجراءات ومستوى الكيانات ومستوى الزمانية.

### - على مستوى الإجراءات:

يتولد التاريخ بصفته بحثا من استخدامه المحدد للتفسير حتى لو سلمنا مع فليلي بأن السرد يفسر ذاته فإن التاريخ ينتزع العملية التفسيرية التاريخية من نسيج السرح وقيمها كإشكالية مستقلة لكن ارتباطاته تبقى مجابته للحبك<sup>13</sup>.

تقوم التحليلات على فكرة وجود القطيعة الايستمولوجية التي تتأسس على ثلاثة درجات: الإجراءات والكيانات والزمانية.

يجعل المؤرخون الشكل التفسيري مستقل فيصبح بذلك الموضوع المميز لعملية تثبت من الصحة والتبرير.

جعل التفسير التاريخي مستقلا في علاقته مع المخططات التفسيرية المحايثة للسرد ونتائج عديدة وهي كلها تبرز القطيعة بين التاريخ والسرد: النتيجة الأولى أن التناول المفهومي الذي يصل بعضهم اعتباره المعيار الرئيسي للتاريخ حيث يكون وثيق الصلة بعمل التفسير ولا يمكن لمثل هذه المشكلة النقدية إلا أن تنتمي إلى حقل فيه المنهج يفتقد نقدا أو موضوعا حسب "بول فين" أو لا توجد بشمولية التاريخ لا تتخذ موقفا في هذا الوقت أو ذاك بعدد النزاع الكبير حول الكليات التاريخية أو لا تعاود بمشقة متابعة حركة الرواح والمجيبين الواقعية والاسمية متبعا في ذلك أساتذة القرون الوسطى والنتيجة الثانية للمكانة النقدية للتاريخ بوصفه بحثا هي أنه مهما كانت حدود الموضوعية التاريخية فإن الموضوعية تبقى مشكلة في التاريخ حسب "موريس ماندليوم" الذي يوصف حكم ما بأنه موضوعي لأننا نعتبر أن صحته تستبعد إمكانية أن يكون انكاره صحيحا أيضا والموضوعية المقصودة هي التي توقع الحقائق التي تتناولها الأعمال التاريخية المنفردة المتشابكة على طريقة الخرائط الجغرافية التي احترمت القواعد في الاسقاط والمقياس.

أما النتيجة الأخيرة أن التاريخ لكونه يمتلك الموضوعية كمشروع تحديدا، فهو قادر على أن يطرح حدود الموضوعية بوصفها مشكلة، إذ يوجه المؤرخون خطابهم إلى قراء متشككين يتوقعون منهم

<sup>13</sup> بول ريكور، الزمان والسرد، الجزء الأول، ص 175.

ليس السرد فقط، ولكن إثبات صحة سردهم، في هذا المعنى فإن التعرف على "مضمون أيديولوجي" - حسب وايت - وسط أنماط التاريخ التفسيرية يعني القدرة على التعرف على الإيديولوجيا بوصفها كذلك<sup>14</sup>.

يعد التاريخ هنا بحثا حيث أن مهما كانت حدود موضوعيته ولكنها تبقى في التاريخ حسب موريس لأنه يعرف حكم ما موضوعي لأن حقيقته تستبعد إنكاره وأن الموضوعية هي التي تحقق الأعمال التاريخية.

وهذه النتيجة الأخيرة يمكن أن تسمى بالانعكاس النقدي للبحث التاريخي. تعد هذه أول تفرقة يقوم بها ريكور التي سيكون لها أثر فيما بعد على تحديد التقارب الموجود بين الكتابة الخيالية والتاريخ وهذا ما نجده مشكلا حاضرا عن آرون عندما يرى أن السببية تعد مشكلة تطرح تعقيدا استثنائيا لأسباب عدة ويمكن أن يكون السبب الرئيسي العميق "فسبب هذا الغموض الاستمولوجي نجد أن الجبرية التاريخية تدعي أنها تتبوأ مستوى يعلو على التفسير السوسيولوجي تتفق من الداخل بدورها نجعل الفرضية المستبقاة في السببية التاريخية. وبهذا تكون السببية التاريخية المكانة الغريبة باعتبارها بحثا قاصرا في علاقته مع السعي إلى الانتظامات والقوانين<sup>15</sup>.

حسب رأي آرون فإن مشكلة السمة تعد مشكلا استثنائيا لأسباب عديدة حيث هذا السبب الاستمولوجي نجد أن التجربة التاريخية تعلق التفسير السوسيولوجي. والمعالجة الزمنية للتاريخ التي تعد كاملا آخرا مهما يطرحه بول ريكور إلى مفهوم السببية للوصول إلى تحديد ما يسميه بالزمن التاريخي وبالضبط الحاضر التاريخي وربطه بنص أوغطسين "إن كلا من الإجراءات والكيانات التابعة من القطيعة الايسيمولوجية المميزة لتاريخ كعلم تحيلان رجوعا عبر ممر غير مباشرة إلى إجراءات وكيانات المستوى السردى (...). هل يمكن تبيان أن الزمن الذي يكونه المؤرخ ينبع عبر تتابع من ثغرات المتزايدة الاتساع من الزمنية المختصة بالسرد. وهكذا يمكن البرهنة على أن الزمن المكون من طرف المؤرخ هو نتيجة لسلسلة فواصل للزمانية الخاصة بالسرد.

<sup>14</sup>المصدر السابق، ص ص 276 - 277.

<sup>15</sup>بول ريكور، الزمان والسرد، الجزء الأول، ص 294.



وهذا ما أراد أن يبحث عنه بول ريكور في مدلول الحدث الذي يرى أنه يبقى من خلال رؤيتنا للزمن ومعرفة احداثيتي الزمن الذي يدور عليه الحدث التاريخي الماضي أم الحاضر وهذا هو بداية الاشكال عند بول ريكور<sup>16</sup>.

يقوم بول ريكور بطرح مفهوم السببية للوصول إلى الزمن التاريخي وخاصة الحاضر التاريخي حيث أنه بحث في مفهوم الحدث الذي يبنى على أساس رؤيتنا للزمن.

إن بول ريكور لا يذكر العمل الذي قام به بروديل باعتباره قد أدخل وحدة الزمن الطويل مما فتح آفاق البحث التاريخي أمام إمكانية الاستفادة من العلوم الأخرى وبهذا قد جعل من الحدث التاريخي ضمن البنية الفنية عند بروديل<sup>17</sup>.

يشيد بول ريكور بعمل بروديل الذي أدخل وحدة الزمن الطويل مما فتح مجال البحث التاريخي أمام إمكانية الاستفادة من العلوم الأخرى.

إن الأحداث التاريخية لا تختلف جذريا عن الأحداث المؤطرة بالحبكة ويسمح لنا الاشتقاق المباشر لبنى التاريخ ابتداء من البنى الأساسية للسرد (...) باعتقاد أن بإمكاننا عبر إجراءات الاشتقاق المناسبة أن نمر إلى فكرة الحدث التاريخي إعادة صياغة المفاهيم (...) التي تفرضها فكرة الحدث المحبوك.

أي بناء تاريخ الأحداث ليس فقط بتقسيمها لفترات كما يفعلها المؤرخون وإنما بتأصيلها في بنيات وتمعضلات بنفس الكيفية التي سيصدي فيها الأحداث لتأكد من البنيات والتمعضلات<sup>18</sup>. لا يوجد اختلاف بين الأحداث التاريخية والأحداث المؤطرة بالحبكة وهذا ما يفتح المجال لبناء التاريخ ابتداء من البنى الأساسية للسرد.

#### \* أما على مستوى الكيانات:

إن التاريخ يوصفه علما يشير إلى موضوعات من نوع جديد تناسب شكل التفسير الذي يميزه، سواء كانت هذه الكيانات أسسا أو مجتمعات أو حضارات أو طبقات اجتماعية أو عقليات، فإن التاريخ يستبدل الذات التي تفعل بكيانات مجهولة، بالمعنى الدقيق للمصطلح، وتبلغ القطيعة

<sup>16</sup>المصدر السابق، ص 323.

<sup>17</sup>مذكرة دكتوراه التلقي وأشكال التأويل عند بول ريكور (أعواد نجاة)، ص 165.

<sup>18</sup>بول ريكور، الزمان والسرد، الجزء الأول، ص 325.

الاستيمولوجية على مستوى هذه الكيانات قمتها وذروتها في مدرسة الحوليات الفرنسية مع تهذيبها التاريخ السياسي لصالح تاريخ اقتصادي، اجتماعي وثقافي، إذ المكان الذي كان يشغله أبطال الفعل التاريخي والذي نقيهم هيغل الشخصيات العظيمة للتاريخ العالمي، أصبحت تشغله الآن القوى الاجتماعية، لذلك فإن هذا التاريخ الجديد يظهر وكأنه يفتقد إلى الشخصيات وبدونها لن يكون يوسعه الاحتفاظ سرديته<sup>19</sup>.

التاريخ يستبدل الذات التي تفعل كيانات مجهولة حيث تبلغ القطيعة الاستيمولوجية على مستوى هذه الكيانات قمتها في مدرسة الحوليات بتهديمها التاريخ السياسي لصالح التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

### \* أما على مستوى الزمانية:

وهي القطيعة التي تتعلق بالمكانة الاستيمولوجية للزمن التاريخي يبدو الزمن التاريخي وكأنه يبدد نفسه في تتابع من الفواصل المتجانسة الحاملة للتغيير السبي والمعياري هذا من جهة، ومن جهة أخرى تتناثر إلى تعددية زمنية: زمن الحقة القصيرة للحدث، وزمن الحقة الطويلة، حول الحضارات وزمن الحقة الطويلة جدا للأنظمة الرمزية التي تؤسس لما هو اجتماعي.

رغم هذه القطيعة الاستيمولوجية الثلاثية يرى بول ريكور أن التاريخ لا يستطيع أن يقطع كل علاقة مع السرد دون أن يفقد طبيعته التاريخية والعكس بالعكس لا يمكن لهذه الرابطة أن تكون مباشرة إلى حد يمكن اعتبار التاريخ نوعا من جنس القصة.

ومن جانب آخر لقد أفضى نقد بول ريكور لنموذج القانون الشامل الذي بدأه به إلى تنوع للتفسير جعل منه أقل بعدا عن الفهم السردى، دون أن يذكر المهمة التفسيرية التي تبقى التاريخ ضمن دائرة العلوم الإنسانية.

### الأطروحات السردية الصحيحة عند بول ريكور في أساسها تكون في نقطتين:

**الأولى:** أن السرديون بينوا بنجاح أنك عندما تروي أحداثا فإنما أنت تفسر أي الواحد بسبب الآخر حسب أرسطو الرابطة المنطقية للحبكة، وإذا كان بناء الحبكة ممارسته فإنه يقرن السرد بالراوي، وبالتالي يسمح بالفهم الذي قد يحمله الفاعلون أو الشخصيات في القصة حول مساهمتهم في تقدم الحبكة.

<sup>19</sup> بول ريكور، الزمان والسرد، الجزء الأول، ص 285.

**الثانية:** تجيب الأطروحات السردية عن الميل إلى تنويع النماذج التفسيرية وترتيبها حسب الأهمية مشابه إلى تنويع الإمكانيات التفسيرية للسرد وترتيبها حسب الأهمية، إن التفسير عبر الحبكة جزء من صور تفسيري جديد من خلال الارتباط مع التفسير عبر الجدال والتفسير عبر المقدمون الإيديولوجي، ويعادل النشر الجديد للبنى السردية تنصلا من الأطروحات السردية المتزمتة التي أعيد تنسيها إلى المستوى الأدنى الخاص يخطط القصة<sup>20</sup>.

في مستوى الزمانية فإن القطيعة التي تتعلق بالمكانة الاستيمولوجية للزمن التاريخي رغم هذه القطيعة الثلاثية إلا أن بول ريكور يرى أن التاريخ لا يستطيع قطع الصلة مع السرد. بهذا تكون الأطروحة السردية البسيطة قد كانت من مصير يمكن مقارنة مع مصير نموذج القانون الشامل متقاطع الذي لمح إليه في حركة النموذج التفسيري التجميعية باتجاه السرد وحركة البنية السردية باتجاه التفسير التاريخي يشهد على واقعية المشكلة التي لا تقدم لها الأطروحة السردية إلا إجابة شديدة الاقتضاب.

وبهذا يشير بول ريكور إلى معنى تعقل القصد الخالص الذي يشكل الطبيعة التاريخية للتاريخ، ويمنعها الانصهار في أنواع المعرفة الأخرى التي يعرف التاريخ قران المصالح الاقتصادية والجغرافية وعلم السكان وعلم الأعراف وعلم الاجتماع والإيديولوجيات والواقع لأن لهذه الفعالية السردية جدليتها الخاصة التي تساعد على العبور خلال مراحل المحاكاة المتابعة بدءاً من التصورات مسببية مروراً بالتصورات المكونة للحبك إلى إعادة التصور الذي ينشأ بسبب الصدام بين عالم النص وعالم المعاش<sup>21</sup>.

بحيث يتوجه بول ريكور إلى معنى تعقل القصد الخالص الذي يحافظ على الطبيعة التاريخية للتاريخ ويمنعها من الانصهار في المعرفة حيث هذه الفعالية السردية خالصة.

ويفحص بول ريكور فرضية العمل التي اعتمدها بخصوص المعرفة التاريخية والذي يتعلق بالمكانة الاستيمولوجية للزمن التاريخي في علاقته بزمانية السرد فراه أن من الضروري إظهار شيئين من جهة يتكون الزمن الذي يشكله المؤرخ من زمنية متكونة بالفعل ومن جهة أخرى هذا الزمن المتكون

<sup>20</sup>المصدر نفسه، ص 285 - 286.

<sup>21</sup>بول ريكور، الزمان والسرد، الجزء الأول، ص 281 - 283.

لن يتوقف عن الإحالة إلى القلق إلى زمنية الممارسة التي وصفت بواسطة المحاكاة وتلقبا هاتان العلاقاتان بالإجراءات والكيانات التي يبينها التاريخ<sup>22</sup>.

يقر هنا بول ريكور أنه هذا الضروري في العلاقة المكانة الاستيمولوجية لزمن التاريخي بالزمانية السردية على إظهار شيئين الأولى تتكون الزمن الذي شكله المؤرخ من زمنية الفعل والثاني الزمن المتكون لن يتوقف عن الإحالة.

---

<sup>22</sup>المصدر نفسه، ص 286.

## المحاضرة الثالثة عشر: الإشارة والقصد

### المعنى اللغوي:

أشار الرجل يشير إشارة إذا أوماً بيديه، وأشار يشير إذا ما وجه الرأي.  
ويقال فلان جيد المشورة. نقله الزهري عن الأصمعي .

وهي عند الإطلاق حقيقة في الحسية ، وتستعمل مجازاً في الذهنية ، كالإشارة بضمير الغائب ونحوه ، فإن عُدي بـ " إلى " تكون بمعنى الإيماء باليد ، ونحوها ، وإن عدي بـ " على " تكون بمعنى الرأي . وفي الوسيط ذكر من معانيها "التلويح بشيء يفهم منه المراد" .  
من خلال هذا التعريف سيتضح إن - شاء الله تعالى- بعض المعنى، ومأخذ الأصوليون في تعريف دلالة الإشارة.

### التعريف الاصطلاحي:

قال البزدوي: "والاستدلال بإشارة هو العمل بما ثبت بنظمه لغةً لكنه غير مقصود ولا سيق له النصُّ، وليس بظاهر من كل وجه فسميناه إشارة، كرجل ينظر ببصره إلى شيء ويدرك مع ذلك غيره بإشارة لحظاته .

وهذا نحو ما عرّف الجرجاني به أيضاً فقال:

**الإشارة:** هو الثابت بنفس الصيغة من غير أن يسبق له الكلام. إشارة النص هو: العمل بما ثبت بنظم الكلام لغةً لكنّه غير مقصود ولا سيق له النص، كقوله تعالى: "وعلى المولود له رزقهن" البقرة، سيق لإثبات النفقة وفيه إشارة إلى أن النسب إلى الآباء.<sup>23</sup>

فتعريف البزدوي رحمه الله تعالى قد أوضح الاستدلال بالإشارة من حيث يطلبها المجتهد ويتخذها طريقاً لاستنباط الأحكام الشرعية، والاستدلال بها على المعاني المفادة من النصوص القرآنية والنبوية. فقد نظر إلى الإشارة لا باعتبارها مفهوماً بالإشارة من النص، وإنما باعتبار أنها وسيلة وطريق للمجتهد، لكي يدرك الأحكام التشريعية من مظانها.

<sup>23</sup> - أبو مالك السَّعِيد العيسوي، دلالة الإشارة، وآثارها الفقهيَّة، نظرة أصولية تطبيقية، ص 12.

وقد نَوَّه إلى مراده هذا في صلب التعريف حيث صَدَّره بقوله: "الاستدلال" أي: طلب دلالة الإشارة بالنظر إلى أنها وسيلة لإدراك الحكم الشرعي، وباب من أبواب المعرفة التي يلج منها المجتهد والفقهاء لفهم المدلول الذي يؤخذ بالدلالة الإشارية.

ولم يخرج صاحب التعريف عن مفهوم النظم ودائرته حينما قال: "هو العمل بما ثبت بنظمه لغة".

وعلى هذا فقد عرج إلى وضع الحد لدلالة الإشارة بالنظر إلى أنها مفهومة من النظم التشريعي القرآني أو النبوي، وأن هذا المفهوم المفاد من النص لكنه غير مقصود له لا أصلاً ولا تبعاً. وبهذا قد وضع احترازاً للتعريف، كي لا يدخل معه مفهوم عبارة النص فعبارة النص هي مدلوله الذي يفهم منه، باعتبار أنه مقصود بالأصالة أو التبع. وأما الإشارة فهو ما يفهم من النص ولم يكن هذا النص مسوقاً بغرض بيان المراد. فالإشارة ليست مرادة من النص ولكنها مدركة منه.

وقد احتز بقوله "لغة": بما يفهم بالعقل أو القياس أو الاستدلال النظري من غير الطريق اللغوي. حيث إن الدلالة لها طريقان: أولهما، طريق لغوي والإشارة واحدة منها. والطريق الثاني: فهم الأحكام عن طريق القياس وإعمال العقل بإلحاق غير المنصوص على ما هو منصوص إذا اتحدت العلة.<sup>24</sup>

وبهذا ظهر الفرق بين ما يدركه الفقيه من النص من معانٍ ومدلولات لغوية غير مقصودة، وبين ما يدركه الفقيه بإعمال النظر والعقل عن طريق الإلحاق والقياس .

وعرفها السرخسي بقوله: "والثابت بالإشارة ما لم يكن السِّيَاق لأجله، لكنه يعلم بالتأمل في معنى اللفظ من غير زيادة فيه ولا نقصان، وبه تتم البلاغة ويظهر الإعجاز".

نظره في تعريف السرخسي: اعتبر السرخسي أن هذا المعنى أخذ من طريق الإشارة تعبير عن البلاغة والإعجاز، وهذه كلمة حق يدركها من يعيش في ظل المعاني القرآنية وفي فهم المراد منها. فالنص الشرعي كما ورد بنظمه وصوغه وألفاظه البينة وعباراته الواضحة، ويدل على معنى إشاري غير مقصود للنص قصداً أولاً أو تبعياً، لكنه مدرك للمجتهد ويؤخذ منه حكم تشريعي يصار إليه من فهم معنى النص، ويحقق مطلباً من مطالب الفرد والجماعة في بناء أحكامها على التشريع الإلهي والنظام الإسلامي.

<sup>24</sup> - أبو مالك السَّعِيد العيسوي، دلالة الإشارة، وآثارها الفقهيَّة، نظرة أصولية تطبيقية، ص 15.

وعرفها ابن الهمام بقوله: "دلالة اللفظ على ما لم يقصد به أصلاً إشارة، وقد يتأمل".  
قوله: "وقد يتأمل": ذلك أن دلالة العبادة مدركة من غير تأمل، وإنما يتبادر الفهم إليها، بسبب أن النصّ سيق للدلالة عليها.

وأما دلالة الإشارة فقد اختلفت موضعاً ومعنى عن دلالة العبارة، فهي تحتاج إلى تأمل في معنى النص وفي عبارته وفي كلامه، لا إدراك المعنى الإشاري، وقد ذكر بعض الأصوليين النسبة بين دلالة العبارة والإشارة بقولهم: "الإشارة من العبارة، كالكتابة من الصريح والظاهر".  
وعرفها الغزالي بقوله: ما يتبع اللفظ من غير تجريد قصد إليه. فكما أن المتكلم قد يُفهم بإشارته وحركته—في أثناء كلامه— ما لا يدل عليه نفس اللفظ، فيسمى إشارة، فكذلك قد يتبع اللفظ ما لم يقصد به وينتبه له.

وعرفها سيف الدين الأمدي بقوله: "إن كان مدلوله غير مقصود للمتكلم، فدلالة اللفظ عليه تسمى دلالة الإشارة ... لم يقع مقصوداً من الكلام".

وعرفها ابن النجار: "لا يكون مقصوداً للمتكلم ... وإن لم يكن المعنى المستفاد من اللفظ مقصوداً للمتكلم". وعرفه الإبياري بقوله: هو ما يؤخذ من إشارة اللفظ، وإن لم تدع إليه ضرورة، بل يفهم الاقتصار على المذكور، ولكن تشير الألفاظ إلى جهة أخرى ليست في المقصود الأصلي، ولكنها من توابعه.

أما ملا خسرو فقد أتى بتعريف يختلف في التعبير عن الآخرين، وإن كان يتفق في الغرض، قال: وأما الدالُّ بإشارته فما دلَّ بها أي: بإحدى الدلالات الثلاث على ما ليس له السَّيِّاق بمعنى كونه مقصوداً أصلياً فلا ينافي كونه مقصوداً في الجملة كما سبق بشرط كون اللازم ذاتياً أي متأخراً لا يكون بواسطة المناط حتى لو كان بواسطة لا يكون ثابتاً بالإشارة بل بالدلالة والقياس . وذكرها الشوكاني بقوله: "دلالة الإشارة حيث لا يكون مقصوداً للمتكلم". وعرفها الشنقيطي بقوله: "إشارة اللفظ إلى معنى ليس مقصوداً منه بالأصالة، بل بالتَّبَع، مع أنه لم تدع إليه ضرورة لصحة الاقتصار على المذكور دون تقديره".

يلاحظ من خلال هذه التعريفات أمور:

1- أهما لا تكون إلا إلتزامية، فهي تفتقر عن دلالة العبارة من هذا الجانب، حيث إن دلالة العبارة قد تكون تضمنية، وقد تكون مطابقة، وقد تكون إلتزامية.

2- أنّ العلماء الذين تناولوا التعريف تواردوا على كونها: "غير مقصودة من سوق النص" وهذا قد يتعقب.

وهو ما أورده الأمير الصنعاني رحمه الله، فقال: كيف يحكم على شيء يؤخذ من كلام الله أنه لم يقصده تعالى وتثبت به أحكام شرعية؟ ومن أين الاطلاع على مقاصد علام الغيوب؟ فإن أرادوا قياس كلامه على كلام العباد فإنه قد يستلزم كلامهم ما لا يريدونه ولا يقصدونه، ولا يخطر لهم ببال، ولذا جزم المحققون بأن لازم المذهب ليس بمذهب؛ لأنه لا يقطع بأنه قصده فائله بل لا نظن، وكذلك التخارج على كلام أئمة العلم لا تكون مذهباً لمن خرجوه عنه؛ وذلك لقصور البشر، وأنه لا يحيط علمه عند نطقه بلوازم كلامه قطعاً ولا يقصده، بخلاف علام الغيوب، فهو يعلم بلوازم كلام العباد، وما تطلقه ألسنتهم، وما يكنه الفؤاد. فكيف ما يتكلم عز وجل به؟! وقد ذكرت بعض شيوخي بهذا ومن أتوسم فيه الإدراك، فما وجدت ما يشفي مع هذا الاتفاق من أئمة الأصول عليه! .

وقد يُتعقب تعقب الصنعاني بأن يقال: أن كلام العلماء في التعريفات السابقة أنه ليس بمقصود للشارع أي قصد أصالة بل قصد تبعي، كما في تعريف العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى. وقد عبر عنه الزاهدي من المعاصرين بالذي لم يدل عليه اللفظ مباشرة، بل هو من لوازم ما دلّ عليه اللفظ .

وقد ذهب تاج الشريعة إلى أن المعنى المستفاد من طريق النص مقصود للشارع تبعاً لا أصلاً وعلله بأن كثيراً من الأحكام الشرعية ثابتة عن طريق إشارة النص، فليس من المعقول أن لا تكون غير مقصودة أصلاً عند الشارع، مع أنها كثيرة جداً .

3- أنّ الأصوليين أكدوا وجود تلازم بين المعنى الذي يدل عليه النص بعبارته وبين المعنى الذي يدل عليه بإشارته، بل لا بد أن يكون هناك التلازم بينهما لا انفكاك له.

الفرق بين دلالة الإشارة والدلالات الأخرى:

(أ) الفرق بين دلالة الإشارة ودلالة الظاهر:



بالنظر في تعريف الدلالة الإشارية: "غير مقصود ولا سيق له النص" قد يظن شمول هذا التعريف للظاهر أيضاً إلا أن حُسام الدين السنغاقى في شرح البزدوى ذكر الوجه الفارق بينهما، فقال:

"ولكنهما يفترقان من حيث إنَّ الإشارة قد تقع خفية فتحتاج إلى نوع تأمل بخلاف الظاهر، فإنه ظاهر كاسمه لا يخفى على أحد، ولهذا خفي على الشافعي حكم الإشارة في قوله تعالى: "للفقراء المهاجرين" حيث قال بعدم زوال أملاكهم عما خلفوا في دار الحرب".

### (ب) الفرق بين دلالة الإشارة ودلالة النص:

الدلالة الإشارية تدل على مدلولاتها من ذات النص، دون احتياجٍ إلى علة، أما دلالة النص فإنها تحتاج إلى علة لتدل على مدلولها في غير النص، كالأذى الذي هو علة التحريم في قوله تعالى: "فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما"، فكلما تحققت العلة التي هي الأذى يتحقق التحريم. وكل فعل يتضمن هذه العلة فهو محرم. أما دلالة الإشارة فهي تدل على معناها دون احتياج إلى علة وهي تشير إلى مدلولها دون أن تتعدى النص الذي استُفيدت منه.

### (ج) الفرق بين دلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء:

تفترق دلالة الإشارة عن دلالة الاقتضاء في كون الدلالة الإشارية لازم ذاتي متأخر، ودلالة الاقتضاء لازم شرعي أو عقلي أو واقعي متقدم، وكذلك فإن دلالة الاقتضاء تحتاج إلى عبارة ليستقيم بها المعنى أما الدلالة الإشارية فلا تحتاج إلى إضافة أي عبارة.

### أنواع دلالة الإشارة:

الناظر في المعاني والأحكام المستنبطة بدلالة الإشارة يجدها تتباين من حيث الظهور والخفاء، وعليه فإنها تنقسم إلى قسمين:

- دلالة إشارية واضحة.

- دلالة إشارية خفية.

### أولاً: دلالة الإشارة الواضحة:

وهي ما تحتاج إلى تأمل وتفكر دون أن تكون خفية على أحد من أهل العلم ممن توفرت فيهم معرفة الوضع اللغوي والملكة الفقهية التي تدرك بثاقب بصرها الأحكام التشريعية التي كانت مقصودة من السوق، وهي التي تسمى الدلالة الإشارية .

### ثانياً: دلالة الإشارة الخفية:

وهي التي لا تتضح لكثير ممن أدركوا الوضع اللغوي أو الاستنباط الشرعي للأحكام من مظاهرها النصية بطريق غير مسوق له اللفظ.

وترتب على هذا أن اختلف كثير من أهل العلم في كثير من مسائل الأحكام. وسيأتي- إن شاء الله تعالى- مبحث فيه بيان لبعض الآثار الفقهية الناتجة عن دلالة الإشارة.

### حجية دلالة الإشارة:

تنحصر أقوال العلماء في دلالة الإشارة على قولين:

**القول الأول:** أن دلالة الإشارة قطعية: وذلك كدلالة العبارة من غير تفرقة بين الإشارة الواضحة والخفية .

**القول الثاني:** أن الدلالة الواضحة تفيد القطع، والخفية تفيد الظن: وهذا هو المختار لدى أبي زيد الدبوسي، السرخسي، وصاحب كشف الأسرار . ووجهه أن الدلالة الخفية لا تكون واضحة للجميع فهي إذن لا تفيد القطعية لوجود الخفاء لاعتمادها على الظن لا اليقين في الكشف عنها.

تنبيه مهم: يجب أن ينتبه إلى أمر مهم هنا ألا وهو: أن دلالة الإشارة يؤخذ بها ما لم تعارض بنص أصرح وأوضح في الدلالة. حيث أنه قد يأتي نص آخر أوضح في الدلالة، أو يكون هناك نص مخصص لعموم هذا الاستنباط، أو مقيد لإطلاقه، أو ربما ملغٍ لدلالته، وهناك أمثلة كثيرة على هذا في كتب الفقه والأصول.

يقول الشاطبي -رحمه الله تعالى-: من الواجب أن ينظر في الوجه الذي تستفاد منه الأحكام، وهل يختص بجهة المعنى الأصلي أو يعم الجهتين معاً، أما جهة المعنى الأصلي: فلا إشكال في صحة اعتبارها في الدلالة على الأحكام بإطلاق، ولا يسع فيه خلاف على حال، ومثال ذلك: صيغ الأوامر والنواهي والعمومات والخصوصات، وما أشبه ذلك مجرداً من القرائن الصارفة لها عن مقتضى الوضع الأول، وأما جهة المعنى التبعي: فهل يصح اعتبارها في الدلالة على الأحكام من حيث يفهم منها معان زائدة على المعنى الأصلي أم لا؟ هذا محل تردد، ولكل واحد من الطرفين وجه من النظر...

ثم قال الشاطبي -رحمه الله تعالى- عن الحكم الشرعي الزائد بعد الأصلي بأنه: أقوى الجهتين، ثم قال: لكن يبقى فيها نظر آخر، ربما أخال أن لها دلالة على معان زائدة على المعنى الأصلي، هي آداب شرعية وتخلقات حسنة يقر بها كل ذي عقل سليم فيكون لها اعتبار في الشريعة، فلا تكون الجهة الثانية خالية عن الدلالة جملة، وعند ذلك يشكل القول بالمنع مطلقاً، وبيان ذلك يحصل بأمثلة سبعة...

فقد تستنبط حكماً معيناً جاء النص بخلافه، وهذا أمر مهم جداً في مسألة استنباط الفوائد والأحكام من النص.

### التعارض بين العبارة والإشارة:

إن التفاوت بين الإشارة والعبارة قائم من ناحيتين:

**الناحية الأولى:** أن العبارة قطعية في دلالتها وأن ما يفاد عن طريقها يكون قطعياً في معناه وحكمه إلا إذا قام دليل يصرفه إلى معنى آخر. أمّا الاحتمال الناشئ عن غير دليل فلا يؤثر في قطعيتها.

أما الإشارة فقد اختلف العلماء في مدلولها وفيما يدخل عليها من حكم ومعنى، أهو قطعي أم ظني؟ كما سبق.

ومن كلام أهل العلم وتناولهم للمسائل عملياً نجد أن دلالة الإشارة لا تكون قطعية دائماً، بل قد تكون قطعية إذا كانت واضحة لجميع العلماء بالوضع أو الاستنباط الفقهي وقد تكون خفية وعندئذ تكون دلالتها مظنوناً بها، لعدم جلائها ووضوحها، وكلما كانت خفية كانت قوتها أضعف ودلالتها أقل درجة.

**الناحية الثانية:** أن العبارة مقصودة من النص قصداً أولياً أو تبعياً. وأما الإشارة فهي غير مقصودة من النص أصالة. وهذا الناحية شديدة الظهور في إبراز التفاوت بين المدلول العباري والإشاري، إذ إن العبارة مقصودة للنص، والإشارة غير مقصودة.

وهذا التفاوت يتضح جلياً في التفاوت في الأحكام المستفادة من الدالتين، كما يظهر في تقديم المدلول العباري على المدلول الإشاري، وهذا ما سوف يتضح جلياً في المثال التالي.  
لنضرب مثلاً: روي عن النبي أنه قال: "تمكث إحداكن شطر دهرها لا تصلي".

فهذه الرواية -على فرض الثبوت لإعمال القاعدة- أفادت بإشارتها أن فترة الحيض لدى المرأة تمتد خمسة عشر يوماً. إلا أن هذه الإشارة معارضة بعبارة النص، وذلك فيما روى أبو هريرة أن رسول الله خطب الناس فوعظهم، ثم قال: "يا معشر النساء تصدقن فإنكن أكثر أهل النار" فقالت امرأة منهن ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: "لكثرة لعنكن يعني وكفركن العشير" قال: "وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب وذوي الرأي منكن" قالت امرأة منهن وما

نقصان دينها وعقلها؟ قال: "شهادة امرأتين منكن بشهادة رجل ونقصان دينكن الحيضة تمكث إحدانك الثلاث والأربع لا تصلي". فهذا الحديث واضح في دلالة العبارة. وفي حديث يروى أنه قال: "أقل الحيض ثلاث وأكثره عشر". فهذه الأحاديث -على فرض الثبوت- دلالة عبارة واضحة تفيد أن المرأة تقعد في عدة حيضها عشرة أيام كحد أقصى. وحيث وقعت المعارضة بين دلالة العبارة والإشارة فإن الدال بعبارته مقدم على ما دل بإشارته.

مثال آخر لإشارة خالفتها دلالة العبارة: استدل بعض العلماء على أن البقرة تجزئ في الهدى عن أكثر من سبعة بحديث أن النبي نحر عن أزواجه بقرة أخرجها النسائي وأبو داود وكذا مسلم فقالوا بأن الظاهر أنه لم يتخلف أحد من زوجاته وهن تسع. قال الشوكاني رحمه الله: ولكن لا يخفى أن مجرد هذا الظاهر لا يُعارض به الأحاديث الصريحة الصحيحة السالفة المجمع على تداولها. إذن يلاحظ من الأمثلة السابقة أن المعاني الإلزامية المستفادة من إشارة النص قد تكون خفية لا تدرك إلا بتأمل دقيق ونظر عميق، وقد لا يتفطن إليها البعض، ولا يستطيع إدراكها إلا الفقهاء الراسخون فتستفاد من النصوص بطريق الإشارة، وهذا بخلاف ما يدرك من المعاني بدلالة عبارة النص، إذ هي تكون بدرجة من الوضوح بحيث يدركها حتى غير الفقيه. من أشهر فلاسفة اللغة الفيلسوف البريطاني برتراند راسل (1872 - 1970) الذي يعدّ من أهم مفكري القرن العشرين، كانت له مواقف مشهورة ضد الحروب، ضد الاستعمار، ضد العنصرية وضد القهر. إلى جانب اهتمامه باللغة كان راسل عالم رياضيات وكاتب غزير الإنتاج وداعية سلام وتآخي بين البشر.

## المحاضرة الرابعة عشر: اللغة والتأويل

تعدّ القراءة خلقاً جديداً للنص، وبعثاً متجدداً لمكوناته، مستندة على القلق المعرفي دون مراعاة لملايسات وطبيعة نشأته الأولى، تسعى متحيرة لتستنطقه ولتستخرج خباياه، وتستكشف حفاياه، إنّها تعرّي مفاته، وترصد استطيعاه.

لا مناص أن القراءات تختلف من شخص لآخر، ومن عصر لعصر، ودلالة النص متجددة حسب القارئ وأحواله النفسية والبيئية التي يعاشرها، ولأن القراءة تضطلع بإيجاد التوافق بين الحاجة والنص، بين الذات والموضوع، يأتي المعنى من نفس القارئ رغبة تجدد ما يقابلها في النص فتتشبث به، لينتقل من الشعور إلى النص. وبذلك يستوي القراءة إعادة للفهم والتفسير، الذي يُصنع بالمكابدة العويصة في تفكيكها الرموز وتقصي الدلالات، حتى تصبّ ذاتها على النص فتغدو هذه المعاناة قائمة على عمليات الكشف المضنية لدلالات النص التي لا تنتهي احتمالاتها، ويصبح النص إذ ذاك مجرد تعلّة، يتيح الفرصة للتمرس على القراءة من جديد، وي طرح إشكاليات على تجارب جديدة.

في كل تجربة تتجاوز القراءة عوائدها السابقة لتخوض في تجديد هذه التجارب التي تقتضي تجديد الفهم بالضرورة.

فيغدو استدعاء التأويل حاجة ملّحة، لتبوّئه مكانة متميزة في موقع العلوم التي تتصافر لقراءة النصوص من أجل مقارنة فهمها، ويصير من غير الممكن قراءة روائع الأدب دون اعتماد التأويل أداة. يعدّ التأويل تجديداً للفهم وتنوعاً للدلالات التي تسمح بإعادة ترتيب الأشياء، إنه البحث الذي لا ييأس في ردم الضبابية في كينونة الإنسان للتمييز بين الواضح/الخفي وبين الظاهر/الباطن، لارتباطه بالظلال التي يشيعها الكلام وتحملها الألفاظ وراء أصواتها وحروفها، هو ذلك الهمس الخافت وراء صخب اللغة، إنه يحاول دوماً تفهم وتدبر مقاصد المتكلم، فيرجح قولاً على قول ويغلب معنى على معنى حتى يتحقق نهاية الأمر مما يريد من النص، لا ما يريد النص منه. لذلك سارع العلماء (الأصول) إلى إلجائه بالشروط وتقييده بالقواعد والمعايير، إلى درجة تعيين أعضائه: فاعتبر المتصوفة: القلب هو المتحكم في تأويلهم الروحاني. أما الفلاسفة: فاحتكموا إلى العقل ألزموه شرعية الفهم وأحقية التأويل.

لقد شغل التأويل العرب كما شغلت به باقي الأمم لأنه يتوسط القراءة والفهم ليوفق بين عدة متطلبات معرفية وثقافية واجتماعية ليكشف عن مواقف المؤول التي يرضاها النص بالدليل العاصم من

الزّلل. ومما لا جدال فيه أنّ الاختلافات من طبيعة المخلوقات منذ فجر الخليقة، بل هي محمّدة لأنها تنتج التنوّع والكثرة والثراء، شريطة أن تُقرن بالبراهين والأدلة والقرائن.

بات من فريضة القول أن التأويل يرتبط بالقراءة ليستعيد الدلالات المفقودة والغائبة، وبالضرورة كذلك، القراءة تنتج التأويل وهو حاصل لها يختلف ويتعدد، يُحرر في عوالم النص لينجز تنوع الفكر وتجدد القراءة وتفاوت الفهم، واستكشاف دلالات خافية.

وهكذا نلمس في قراءة "مديح في الظل العالي" لمحمود درويش أنّ الأمم والشعوب تصغي إلى بعضها عبر الشعر الذي ينقل القضايا من ظروف داخلية إلى خارجية/ ومن وطنية إلى عالمية – ليَتَوَشَّن النشيد ممارسةً شعرية... محاولاً تبيين المفاهيم للانتماء إلى الحدث، والإعلان عن مرارة القهر وطول المعاناة.<sup>25</sup>

لم يعبر على الحرير اليمني، بماء الذهب المصري ثم يعلّق على ستار الكعبة، لكنه أُرْزِمَ بدم الشهداء في كل الأوقات، وآهات الشكالي وأنين الأبرياء ليذكر في كل الأمكنة، ويظل صوته مديحاً، تؤرخ به الأرض قضيتها:

- 1- "ندعو أندلس أن حوصرت حلب" ويفضح الشاعر: التزوير.
- 2- ونمشي في الشوارع باحثين عن السلامة، من سيدفنا إذا متنا.
- 3- ويدافع الشعر عن الوجود الإنساني، كون مهمته حماية نبض الحياة.
- 4- سقط السقوط وأنت تعلقو: فكرةً ويداً وشاماً!

وإذا كانت النصوص لا تطلب من القراءة إلا تفتيئ غيومها والإصغاء إلى دالاتها المعومة باللغة والشفرة الملعزة، ويطلب التأويل نصيبه من القراءة التي تستكشف ما فعلنا بالنص، وما فعله النص بنا.

تتبع مفهوم التأويل في الفكر الغربي وكيفية نشأته وارتباطه بالنصوص الدينية والفلسفية، ومفهوم التأويل في الفكر العربي والإسلامي واقتراه بالقرآن الكريم.

### مفهوم التأويل Interpretation:

التأويل لغة: مأخوذ من الأول وهو الرجوع إلى الأصل، يقال آله إليه، أولاً مآلاً.

<sup>25</sup> - بشرى موسى، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، المغرب- لبنان، ط1، 2001م، ص 49.

اصطلاحاً: هو ما يؤول إليه الكلام ويرجع وإنما يرجع الكلام ويعود إلى حقيقته التي هي عين المقصود.

- هو التفسير نفسه.
- هو صرف اللفظ عن المعنى الراجع إلى المعنى المرجوح للدليل يقتزن به تعريف المتأخرين.
- تأويل على وزن تفعيل.
- التأويل هو عملية ذهنية تتم بعد اطلاع وقراءة أمر ما حين نعجز عن إدراك استحضاره.
- هو قوة خفية في العقل.
- التأويل هو استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه يحتمل المجاز أو الحقيقة.
- التأويل يتوسط القراءة والكتابة لتواصل إليهما.
- أصل كلمة التأويل من "إلت" إلى الشيء "أوول" إليه إذا صرت إليه.

القراءة	الكتابة
لاحقة	سابقة
بنت	أم

التفسير لغة: تفعيل من الفَسَّرَ بمعنى الإبانة والكشف وإظهار المعنى.

اصطلاحاً: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتبين به معانيه وتستخرج أحكامه وحكمه.

### الفرق بين التفسير والتأويل:

1) إذا اعتبرنا أن التأويل هو تفسير الكلام وبيان معناه، فالتأويل والتفسير على هذا متقاربان أو مترادفان ومنه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ».

2) إذا اعتبرنا أن التأويل هو نفس المراد بالكلام أو عين المقصود فعلى هذا يكون الفرق واضحاً بين التفسير والتأويل.<sup>26</sup>

3) وقيل أن:

<sup>26</sup> - بشرى موسى، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، ص 60.



أ) التفسير ما وقع مبينا في كتاب الله أو معينا في صحيح السنة لظهور معناه ووضوحه، والتأويل ما استنبطه العلماء.

ب) التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية.

ج) التفسير أكثر ما يستعمل في الألفاظ ومفرداتها والتأويل أكثر ما يستعمل في المعاني والجمل. وردت كلمة تفسير مرة واحدة في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان، آية (33).

ووردت كلمة التأويل 17 مرة في القرآن الكريم متراوحة بين ثلاثة معانٍ رئيسية:

- 1- احتمال معاني أخرى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ آل عمران (07).
- 2- تعبير الرؤيا: ﴿وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ يوسف (100).
- 3- العدل، الصدق، الابتعاد عن الغش: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ الإسراء (35).

التأويل هو معرفة الحقائق، وكلمة التأويل وردت في المعاجم العربية تحمل عدة معانٍ منها:

- 1- الرجوع والمصير.
- 2- التغيير: آلا اللبنُ أي خثرُ بمعنى راب، آلا الجسم أي نحف.
- 3- الآل: الخشبُ مجرد (جذع خشب كبير).  
آل الجبل: أطرافه ونواحيه.
- 4- آل النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أهله.
- 5- الإيتال: الإصلاح وسياسة.

ظاهرة التأويل صاحبت النص الديني في رحلته التبليغية منذ دعا الرسول عشيرته الأقربين إلى الإيمان به، حيث بدأ الوحي حاول المسلمون تفهم معاريفه واستنباط معانيه والقرآن يحتاج إلى التأويل لأنه أعجز أساطير الكلام وأعجز أساطير البلاغة وأرباب الشعر.

فالتأويل يوصف بأنه ظاهرة لغوية ترتبط باللغة والدلالة إلا أنه يستعمل كمصطلح في البيئة اللغوية، لا غرورة في هذا فالعلوم اللغوية لم تقم إلا لخدمة النص الديني لأنها مؤسسة على قوانين لغوية ولم تخرج عنها إلا لكونها تفوقها من جميع النواحي وتصغر هذه القواعد النص الديني لأنه نموذج يرقى فوق القاعدة.

انشغل العرب بالنص الديني لما أحدثته من ضجة فاقت كل الخطابات الأخرى المختلفة، فغدا القرآن المعجزة البيانية المحيرة ما جعل مختلف العلماء من المحدثين والمفسرين والفقهاء والأصوليين والمتكلمين والبيانيين والفلاسفة يحاولون تأويله وتفهمه إن اقتضت الحاجة.

التأويل	التفسير
1- مرتبط بالمعاني والجمل.	1- خاص بالألفاظ والمفردات.
2- مقصور على القرآن فلا نقول تأويل قصيدة أو خطبة.	2- يشرح القرآن وباقي الكتب السماوية والنصوص والكلام.
3- هو اختيار معنى من المعاني المحتملة مع تقديم الدليل عليه.	3- بيان معنى لفظ لا يحمل إلا معنى واحداً مع دليل قاطع.
4- إنه ترجيح أحد المعاني المحتملة المناسبة.	4- يكون لغريب الألفاظ.
5- يكون للألفاظ والجمل.	5- يكون لكلام يتضمن قصة أو سبب نزول.
6- يتعلق بالدراية.	6- يتعلق بالرواية.
7- متعلق بالاستنباط.	7- مقصور على الإتيان والسمع.
8- يقوم على المعرفة الحذف والتماس الترابط والاهتمام بالسياق العام	8- لا يحتمل الاجتهاد أو الاستنباط.

إن الجدل المعرفي التي أسسته المدنية أدى إلى علم ما؟ الماهيات. وعلم كيف؟ كفيات الأشياء. وعلم أين؟ كميات.

- 1- يطلب الأول "علم ما" ماهيات لأشياء وهو علم له موضوعه الموجود المطلق.
- 2- يطلب الثاني الكفيات في الأشياء وهو العلم الطبيعي موضوعه الجسم الإنساني وباقي جسوم الكائنات التي تحظى بالتجربة.

3- يطلب الثالث كميات الأشياء وهو العلم الرياضي والفيزيائي موضوعه بحث الأبعاد والمقادير منها استخلص العقل (قانون الفكر الأورغانون).  
والعقل مبتدع الفلسفة يحتكم للمنطق والبرهان لأنه يتجاوز الرأي والظن إلى مقال أكثر مصداقية ويحدد الاتفاق (التأويل).

### ما هي أسباب ظهور التأويل؟

- غرابة المعنى عن القيم السائدة من ثقافة وإيديولوجية وفكرية ومعرفية وأدبية...
  - اعتنى التأويل بالنصوص المقدسة التوراة، الإنجيل، الزبور.
  - اعتنى بالنص الشريف (القرآن).
  - إنه (التأويل) اجتهاد بالفكر وارتحال بالعقل لطلب الحق المسائر لسياق النص.
  - التأويل هو إعادة اكتشاف، تحديد للمعارف والدلالات.
  - التأويل هو إخراج للمعاني الدفينة.
  - التأويل سؤال مستمر لا يتوقف.
- لم يكن الدرس الأدبي بمعزل بعد نزول القرآن لأنه يعين على تفهم النصوص الدينية وتفسير وبعث دلالاتها وإحياء معانيها.

### التأويل:

ما امتحن الإسلام بمحنة قط إلا وسببها التأويل، فمحنته إما من المؤولين، وأما أن يسלט عليهم الكفار بسبب ما ارتكبوا من التأويل وخلفوا ظاهرة التنزيل وتعللوا بالباطيل.  
أحدث التأويل ضجعات وزلازل في أوساط المجتمع الإسلامي وأحدث تشتتاً في صفوف الأمة الإسلامية عدّد ابن القيم أخطاره:

- 1- ما الذي أراق دماء بني جذيمة وقد أسلموا غير التأويل؟
- 2- وما الذي أوجب تأخر الصحابة -رضي الله عنهم- يوم الحديبية عن موافقة الرسول صلى الله عليه وسلم غير التأويل حتى اشتد غضبه (الرسول) لتأخرهم حتى رجعوا عن ذلك غير التأويل؟
- 3- وما الذي سفك دم أمير المؤمنين عثمان ظلماً وعدواناً، وأوقع الأمة فيما أوقعها فيه حتى الآن غير التأويل؟

- 4- وما الذي سفك دم عليّ - رضي الله عنه - وابنه الحسين غير التأويل؟
- 5- وما الذي أراق م الزبير وحجر بن عدي سعيد بن جبير وغيرهم من سادات الأمة غير التأويل؟
- 6- وما الذي أريقته عليه دماء العرب في فتنة أبي مسلم غير التأويل؟
- 7- وما الذي جرد الإمام أحمد بين العقابين وضرب بالسياط حتى عجت الخليقة إلى رها تعالي غير التأويل؟
- 8- وما الذي قتل الإمام أحمد بن نصر الخزاعي وخلد خلافاً من العلماء في بحوث حتى ماتوا غير التأويل؟
- 9- وما الذي سلط سيوف التتار على دار الإسلام حتى زُدها غير التأويل؟
- 10- النص يحيل إلى أن التأويل جريمة من أكبر الجرائم التي شهدتها الأمة الإسلامية ما فرق بين التأويل الديني والتأويل الأدبي؟

أورد محمد بازي نصاً مفاده: إن التأويل في تصورنا ليس بضرورة بحثاً عن مقاصد المؤلف ولا هو أفعال قرائية متعللة من أية معايير وإنما ممارسة مشروطة بآليات يجب اعتمادها، وقد حصرناها في ما يقدمه النص من أدلة لغوية أو نحوية أو بلاغية أو غيرها.

لا مرأ أن التأويل القراءة، الفهم وجوه متعددة لعملية واحدة يستعدي كل منها الآخر، ويمهد السابق منها اللاحق.